الجمعيات العلمية الجهوية ودورها في تأسيس المتاحف الأثرية بالجزائر خلال القرن (19)م

Regional scientific societies and their role in establishing archaeological museums in Algeria during 19th century

يمينة شيبان*

[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، ayoubmima1988@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/21 تاريخ القبول: 2021/06/01 تاريخ النشر: 2021/06/23

ملخص:

يتناول موضوع، دراسة تحليلية لواقع الخلفيات الكامنة وراء تأسيس تلك المتاحف من طرف الجمعيات العلمية في استغلالها للتّراث الأثري بالجزائر في ظلّ الاحتلال الفرنسي خلال القرن التّاسعة عشر (19) ميلادي؛ وكذا الظروف المتعلّقة بتأسيسها، وتنظيمها، وضبط مهامها، ومن نشاطاتها الثانوية في مجال المتاحف اقتناؤها للمجموعات الأثرية واستحداث المتاحف الأثرية الجزائرية التي كانت عبارة عن مخازن للوثائق المادية، مخصصة لفئة الباحثين، وليست موجهة لحفظ التراث الأثري الجزائري، أو توعية مجتمعه وتثقيفه، حيث اقتصرت إصدارتاها في هذا المقام على مصنفات جرد المقتنيات بأمر من الحكومة العامة في الجزائر، أي أنها لم تخرق عن نطاق توظيف التراث الأثري المنقول في خدمة سياسة الاحتلال بالجزائر على المدى القريب والبعيد، مما نتج عنها استمرار رواسب تنظيم تلك المتاحف في فترة الاستقلال على حالها، أي بعبارة أوضح خدمة أهداف المدرسة الاستعمارية بأيادي جزائرية بوعي أو دون وعي من هذه الأخيرة.

كلمات مفتاحية: الجمعيات العلمية، المتاحف الأثرية، المقتنيات المتحفية، السياسة الاستعمارية، مدونات الآثار.

Abstract:

This study dealt with an analytical study of the origins of the creation of these museums by scientific societies in their exploitation of the archaeological heritage in Algeria under French occupation in the 19th century. As well as the circumstances related to its foundation, organization and control of its functions. Among its secondary activities in the field of museums includes the acquisition of archaeological collections and the creation of Algerian archaeological museums, which were reserves of material documents, which is intended for

the category of researchers, and not to preserve the Algerian archaeological heritage, nor to educate its community, its publications in this regard is limited to collections inventorying works by order of the general government in Algeria. That is to say, it did not deviate from the scope of the implementation of the archaeological heritage transferred to the service of the occupation policy in Algeria in the short and long term, which resulted in the continuation of the organizational deposits of these museums during the independence period because they were, in other words, in the clearest terms, the objectives of the colonial school were served by Algerian hands consciously or unconsciously of the latter.

Keywords: scientific societies, archaeological museums, museum collections, colonial policy, archaeological Corpus.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ أقدم المتاحف في الجزائر، وجلّ المتاحف المحلّية المعرفة اليوم باسم "متاحف المواقع" يعود تاريخ إنشائها إلى فترة الاحتلال الفرنسي على يدي جمعيات علمية جهوية ومحلّية، لحفظ جانب من مقتنيات التّراث الأثري الجزائري، من خلال جزء من نشاطاتها واهتماماتها المنصبة في البحث بإشراف السّلطة الفرنسية، وعليه يمكن طرح إشكالية: كيف تّم تأسيس الجمعيات العلمية بالجزائر للمتاحف الأثرية، وما هو أثر تلك الانتقائية في التعامل مع التّراث الأثري الجزائري المنقول على مصير بقية العينات غير المعنية بالاقتناء والحفظ آنذاك؟.

2. لمحة تاريخية حول خلفيات تأسيس الجمعيات العلمية بالجزائر في القرن (19)م:

بعد الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة (1830)م اهتَمت الإدارة الفرنسية بالتّراث الأثري الجزائري (KOUMAS (A) & NAFA (CH), 2003, p11)، حيث كرّس الاستعمار الفرنسي في بداية احتلاله للجزائر عمليات البحث والاستكشاف لفهم المجتمع

الجزائري في مميزاته وكذا خصوصياته المختلفة، حيث سارعت لتنظيم بعثة علمية استكشافية للجزائر، والتي بدأت فكرة البعثة سنة (1837)م واستحدثت بصفة رسمية سنة (1840)م وامتدت لغاية سنة (1845)م، وأول من كلَف بالمهمة هم القادة العسكريين الذين أعدَوا تقارير لوزارة الحربية (KOUMAS (A) & NAFA (CH), 2003, p26)، وبعض أعضائها ساهموا في استحداث الجمعيات العلمية لضمان استمرار نشاطاتهم العلمية في مجال البحث الأثري للجزائر وتثمين أعمالهم .

وأول جمعية محلية تأسست بعد الغزو الفرنسي للجزائر هي جمعية الرّاهب "أنطوان أدولف ديبيك " (ANTOINEADOLPHEDUPUCH) بمدينة الجزائر العاصمة، باسم الجمعية "سانت أوغست" (SAINTAUGUSTIN)، في سنة (1841)م ودامت إلى غاية (1845)م، حيث كانت تجمع التحف القديمة وتخزينها في غرفة صغيرة كمتحف بقصر الكنيسة الأسقفية، وقد سميَت فيما بعد باسم مؤسسها.(BERBRUGGER (A), 1856, p07)

3. **أبرز الجمعيات العلمية النّاشطة عبر تراب القطر الجزائري:**

عرفت الجزائر في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها المعاصر ظهور ثلاث جمعيات، تبعا للتّقسيم الإداري المعتمد من إدارة الاحتلال الفرنسي لشمال البلاد، هي بحسب ظهور التاريخي من الأقدم إلى الأحدث كالآتي:

1.3**الجمعية الأثرية والتّاريخية والجغرافية لعمالة قسنطينة :**

تأسست في 05 ديسمبر سنة (1852)م بإشراف "ليون روني" (LEONRENIER)، وكان من بيّن مؤسيسها العقيد "كرولي« (CREULLY)، و"اغسطت شاربونو « (CHARBONNEAUAUGUSTE)، و"شارل بروسلار (CHARLESBROSSELARED) « ، و"فينيار « (VIGNARD) (JUGUE & BEVIA, 1905, p463)، حيث اشتمل طاقم الجمعية على عسكريين بمختلف رتبهم العسكرية، ومدنيين ينحدرون من قطاعات متعدّدة من أطباء ومعلمين، ورجال الكنسية وعلماء يهود، وقد ضمّ المكتب التّأسيسي لهذه الجمعية على وجه الخصوص كلّ من: العقيد "كرولي" رئيساً، الدكتور "سوكلدي" عميد الأطباء- النائب

الأول للرئيس، التّقني "دولونوا" النائب الثاني للرئيس، الأستاذ "شيربونو" كاتب الجمعية، المهندس "أوبر" نائب كاتب الجمعية، السّيد "ميلوشان" مقتصد الجمعية (MERCIER €, 1903, p548)، السّيد"تِكْسِيِي" المفتش العام للمباني المدنية هذا الشخص كان يقيم بباريس، وقد انتهت مهمته بالجزائر في سنة (1851)م، و« بروسلار" رئيس المكاتب العربية الإقليمية، والعقيد "لوبرون« ، و« شوازني" الأمين العام لإدارة محافظة المدينة (HINGLAIS (U), 1903, p02).

كما تعاقب على رئاستها عدد من الشّخصيات، ففي الفترة الممتدة ما بين سنتي (1853- 1860)م أشرف عليها العقيد "كرولي"، ثم "شوازني"، ثم "مور" (MOEURES) ، وفي سنة (1860)م اللواء "دوفو« (DESVAUX)، حيث تميّزت فترته بتحقيق إنجازات متعددة، وفي سنة (1875)م "بول" (POULLE) ، ثم "مارسيي" (MERCIER) سنة (1893)م (JUGUE & BEVIA, 1905, p464-465).

نشرت الجمعية أول مجلة لها سنة (1853) بعنوان "حوليات" (ANNUAIRES)، ثم تغيَر اسمها في سنة (1863)م إلى مجموعة "مدونة للبحوث والمذكرات الجمعية الأثرية بعمالة قسنطينة" (RECUEIL DES NOTICES ET MÉMOIRES DE SOCIÉTÉ ARCHÉOLOGIQUE DU DÉPARTEMENT DE CONSTANTINE) (VALLET € & BERTHIER (A), 1939, p72). حيث تركز اهتمام الباحثين في الجمعية على البحث ودراسة الآثار الرومانية بصفة عامة، والتّعريف بالفترة القديمة ومحاولة إحصاء الفكري للمؤسسات القديمة (HINGLAIS (U), 1903, p09)، وبالمعالم فترة ما قبل التاريخ، مما جعلهم يعقدون اتفاقية شراكة مع بريطانيا في مجال التحاليل المخبرية (OULEBSIR (N), 2000, p178) ، كما أنَه لا تخلو من دراسات وأبحاث نشرت لبعض المهتَمين بالآثار الإسلامية مثل "فايست" الذي كان مهتَم بالفترة العثمانية بمدينة قسنطينة، و"أرنست ميرسييه (EERNESTMERCIER) « الذي كتب عن تاريخ المنطقة في العصر الإسلامي، ومن الكتّاب البارزين في الجمعية "شارل فيرو"

(CH.FERAUD)، »ألكيي" (ALQUIER)، »شاربونو"، "روني كانيا" (R.CAGNAT)، »شباسيير" (CHABASSIERE)، »بربروغر"(VALLET € & BERTHIER (A), 1939, p72)، ونشرت الجمعية في غضون 48 سنة من تأسيسها أي في الفترة (1853- 1900)م 32 عدد في مجلتها (JUGUE & BEVIA, 1905, p466).

كما شُجِّعت الجمعية على إنجاز أعمال التّنقيب الأثري والتّحري الميداني، حيث تلقت مساعدة عمومية جدّ معتبرة في سنة (1902)م، قُدِّر ميلغها بـ 20000 فرنكا تّم إنفاقه على الحفريات، التّي غطّت كل من ضريح الخروب بقسنطينة، وميلة، وبجاية، وتبسة، ولومبيز، وقلعة بني حماد في المسيلة، وقد تحصّلت الجمعية بموجب تلك الأنشطة المهمّة على عدّة جوائز ومكافآت منها ميداليتين شرفيتين على منشوراتها الخاصة بالتَاريخ والآثار، ونيلها لوسام الاستحقاق والتَقدير، بالإضافة إلى الميداليات الذهبية من خلال المعارض الدولية بباريس ومدينة ليون؛ أضّف إلى ذلك فوزها بجائزة مؤسسة "بلونشي" (BLANCHET) (VALLET € & BERTHIER (A), 1939, p73) .

2.3 الجمعية التّاريخية الجزائرية لعمالة الجزائر :

أصدر الحاكم العام "راندون« (RANDON) في 01 مارس سنة (1856)م تعليمة بقرار إنشاء هذه الجمعية، وتَم تأسيسها في 07 أفريل سنة (1856)م بالجزائر العاصمة (BERBRUGGER (A), 1861, p17)، حيث أضحى كل حاكم عام يتوالى على حكم الجزائر فهو رئيس شرفي للجمعية بدافع سياسي في ميدان الأبحاث وحماية الآثار القديمة (ESQUER (G), 1856, p194)، أمّا الرئيس الفعلي للجمعية فهو "أدريان بربروغر« (BERBRUGGERADRIEN)، وقد ضمّ المكتب التّأسيسي لهذه الجمعية على وجه الخصوص كلّ من : »لويس برينيي » (L.BRUNI) بروفسور مكتب العربي بالجزائر، و« دوفو" محافظ الأرشيف العربي، و« البارون ديسلان" (LEBARONDESLAME) مترجم عسكري ومشرف على جريدة المرشد، وقد انضَم إليهم عدد من المترجمين العسكريين منهم "شوسبو" (SCHOUSBOE) و"كلار" (CLERC) .(BERBRUGGER (A), 1856, p11)

تميّزت أبحاث ودراسات الجمعية بنوع من التَنوع، وذلك حسب رؤساء الجمعية وميولهم وميول كتَاب الجمعية، ولهم معرفة جيّدة بالميدان، حيث تولاّها في بادئ الأمر "بربروغر" إلى أن وافته المنية سنة (1869)م (PAYSANT (L), 1924, p11)، تم تلاه نخبة من الباحثين والكتَاب ففي الفترة الممتدة بين (1869- 1873)م ترأسها "اغسطت شاربونو"، ثم "لرورنو" (LEROURNEUX) سنوات (1876 -1873)م ، ثم "شارل فيرو" (CHARLESFERAUD) سنوات (1878 -1876)م (OULEBSIR (N), 2000, p105)، ومن خلال هذه الأبحاث مرّت الجمعية بثلاثة مراحل رئيسية : المرحلة الأولى (1882- 1892)م: تحت قيادة "دوقرمون" (DEGRAMMONT)، تميّزت هذه الفترة بدراسة تاريخ الجزائر، المرحلة الثانية (1892-1903)م: شهدت رئاسة متتالية من الكولونيل "رين" (L.RINN)، ثم "ماسكري" (MASQUERAYE)، ثم "أرنو" (L.ARNAUD) ثم "ويل" (V.WAILLE)، خصصت هذه المرحلة لدراسة تاريخ الجزائر والاهتمام بالآثار بالمشاركة مع "ستيفان كزال" (S.GSELL)، المرحلة الثالثة (1904- 1924)م: برئاسة "بيزان" (PAYSANT) تمحورت أبحاث هذه المرحلة عن تاريخ الجزائر وترجمة الأدب العربي والتّاريخ العربي، ونسبة قليلة من الآثار.

تركز اهتمام الباحثين في الجمعية عن دراسة كل المعلومات المتعلقة بإفريقيا بصفة عامة، والجزائر على وجه الخصوص بكل دَقة من العهد الليبي إلى غاية العهد العثماني، للتعريف بها والإشهار، من خلال دراسة جميع الميادين التّراث، الفن، الأدب، اللّغات، الجغرافيا والتَاريخ، إلاّ أنّها انفردت بكلمة التّاريخ في تسميتها، -(PAYSANT (L), 1924, p08)، ونشرت تلك الأبحاث في مجلة خاصة سمَيت "بالمجلة الإفريقية(REVUEAFRICAINE) « ، باعتبارها سلسلة لنشر الأعمال الجمعية، والتي اهتّمت بالمجموعات الارشيفية والمادية، ودرست تاريخ الجزائر عبر العصور التي مرّت بها، ولكن بدرجات متفاوتة من الاهتمام، وتعتبر مجلداتها مكتبة تاريخية في حدَ ذاتها، حيث صدر العدد الأول في أكتوبر من سنة (1856)م ، ثم بعد ذلك أصبحت تنشر كتابين في كل شهرين ,BERBRUGGER (A), 1861)

(p17، وبعد مرور عشر سنوات من إنشاء الجمعية التّاريخية الجزائرية، تحصلت على مساعدة تشجيعية والمقدرة بـ300 فرنك فرنسي من طرف الهيئة العامة للأعمال التّاريخية، والجمعيات العلمية ووزارة الأشغال العمومية، وجاء ذلك في القرار 06 جويلية سنة (1866)م.(Son Auteur, 1858, p475)

كما أعدَت الجمعية قائمة وملخص عام في سنة (1885)م للفترة الممتدّة بين سنتي (1856- 1881م)، تحوي عناوين المقالات بمؤلفيها، والأماكن والشّخصيات، وقائمة للمخطوطات والأقاليم، بعدها أصبحت المجلة فصلية تصدر كل ثلاثة شهور منذ سنة (1888م) العدد 190، كما نشرت قائمة للبحوث والدّراسات في الفترة الممتدّة (1882-1914)م، مع العلم أنَها توقفت في فترة الحرب العالمية الأولى (1914- 1918)م، ثم استأنفت نشرها وصدرت العدد 294 من الفصل الأول من سنة (1918)م (PAYSANT (L), 1924, p10).

3.3. جمعية الجغرافيا والآثار لعمالة وهران :

تأسست جمعية وهران من طرف قاطنين مدينة وهران، وتّم المصادقة على استحداثها من طرف حاكم عمالة وهران بتاريخ 19 جوان سنة (1878م) باسم "الجمعية الجغرافية لعمالة وهران" (LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE DE PROVINCE D'ORAN)، ومن مؤسسيها الضّابط البحري "تروتباس" (TROTABAS) الذي عيَن كرئيس للجمعية في 04 ماي سنة (1878م)، وقد ضّم المكتب التّأسيسي لهذه الجمعية على وجه الخصوص كلّ من : »كرامر" (KRAMER) نائب رئيس الجمعية، »جاكي" (JACQUET) كاتب الجمعية، ضابط عسكري متقاعد، "دولينون" (DELINON) مقتصد بالجمعية، »هوغوني (HUGONNET) « مدير المجلس البرلمان الحكومي، »بوتي" (BOUTY (J), 1898, p09-11) .

عملت الجمعية على إدراج حصيلة أعضائها برتبهم المختلفة (دائمين، مؤقتين، شرفين ومراسلين) في كل نهاية السّنة في عدد خاص في مجلة الجمعية، حيث وصل عدد الأعضاء في سنة (1893م) (407) عضو(MONBRUN (M), 1893, p33-34)، وكان مقر

الجمعية والمكتبة بوسط مدينة وهران الذي كان يحمل رقم (07) غلى مستوى الطريق (Schneider) بعمارة ذو ثلاثة طوابق (PESTEMALDJPGLOU (M), 1939, p79).

تركز اهتمام الباحثين في الجمعية بالتّعرف على الخصائص الجغرافيا للمستعمرة وإحصاء الثّروات الطبيعية، وأول رئيس شرفي لهذه الجمعية في سنة (1878م) الجيولوجي "أوغست بومال" (AUGUSTEPOMEL)، غيّرت الجمعية اسمها جزئياً فأصبحت تسمى "الجمعية الجغرافيا والآثار لعمالة وهران" (LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE ET D'ARCHEOLOGIE DE PROVINCE D'ORAN)، وكان ذلك في 17 ماي سنة (1881م) باقتراح من الرائد "لويس دوميات" (LOUISDEMAEGHT)، ولكن هي في الأصل تختص في الجغرافيا والآثار والتّاريخ (BENKADA (S), 1999, p122-127)، وفي هذه الفترة تعدد أعضاء الجمعية وأصبحت تضّم (700) عضو، وتمحورت نشاطاتها العلمية في عدَة تخصصات أبرزها: المكتبة التي أعتبرت مكان لتبادل الأفكار بين أعضاء الجمعية، والنّشر العلمي الذي يشمل نشاطات دوائر الاحتلال الفرنسي في الغرب والجنوب الجزائري وحتى المغرب الأقصى، والقيام بالمحاضرات والجولات التّثقيفية والعلمية، والحرص على تشجيع العلماء والعمّال من خلال تحفيزهم بالمسّابقات والجوائز، وانجاز التّقارير، السَهر على حماية المتحف(PESTEMALDJPGLOU (M), 1939, p79-80).

توالى على رئاسة الجمعية نخبة من الرؤساء في القرن (19م) وهم على النّحو الآتي: الضابط البحري "تروباس" في الفترة الممتدة (1878م- 1882م)، "هوغوني" في الفترة الممتدة (1882م- 1884م) عمل على نشر مجلتين، الأولى مجلة جغرافية، والثانية مجلة أثرية خاصة بالآثار الأفريقية كل تصدر على حدا، "مونرون (MONRUN) « في الفترة الممتدة (1884م- 1896م) حيث عمل على جمع المجلتين في مجلة واحدة سمَيت بمجلة الجمعية الجغرافيا والأثرية لعمالة وهران، أما مكتب الجمعية قسَم إلى جزأين قسم جغرافي،

وقسم أثري ولكل منهم رئيس ونائب الرئيس، الرائد "إزيدور دوريان(ISIDOREDERRIEN) « في الفترة الممتدة (1896م-1904م) (JUGUE & BEVIA, 1905, p471).

نشرت أول مجلة فصلية للجمعية بتاريخ 17 أوت (1878م) سمّيت بـ"نشرة جمعية الجغرافيا لعمالة وهران" (BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE DE PROVINCE D'ORAN)، ففي الممتدة بين سنتي (1878- 1881م) خصصت معظم مقالات حول الأعمال الجغرافيا، وبعد سنة (1881م) تقرر تخصيص جزء أكبر من المجلة للدّراسات الأثرية بدءاً من العدد (10)، وأصبحت المجلة تسمى "نشرة جمعية الجغرافيا والآثار لعمالة وهران" (BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE ET D'ARCHEOLOGIE DE PROVINCE D'ORAN)، وفي سنة (1885)م تقرر فصل الجزء الخاص بالآثار عن المجلة، واستحداث مجلة "الآثار القديمة الإفريقية" (BULLETIN TRIMESTRIEL DES ANTIQUITES AFRICAINES) من طرف "لويس دوميات" و"جول بوانسو" (JULESPOINSSOT) باعتبارهما عضوان أساسيان في الجمعية، كما أنّ في الفترة الممتدة (1882-1885م) كان مكان النشر بباريس، ونظرا لانعدام الإمكانيات خاصة لتمويلها تّم حذفها واستعادة الجزء الخاص بها في النشرة، حيث وصل عدد المقالات التي نشرت في الفترة الممتدة (1878- 1897م) (440) مقال، و(141) مؤلف، وفي الفترة الممتدة (1897- 1907م) (210) مقال، و(101) مؤلف (BENKADA (S), 1999, p120-128).

بالإضافة إلى الجمعيات العلمية الأخرى الجهوية والمحلّية منها: أكاديمية هيبون بعنابة، والجمعية الأثرية والسّياحية لسوق أهراس، والجمعية الأثرية لمنطقة سطيف، وجمعية أصدقاء تلمسان القديمة، وجمعية التّاريخ الطبيعي للقطر الجزائري بالعاصمة، واللّجنة التّاريخية بمليانة سنة (1857)م، والجمعية الأثرية بشرشال (ESQUER (G), 1856, p199-200)، كما أن هناك فروع للجمعيات الفرنسية بالجزائر متعددة التَخصصات أنشأت لها فدرالية بالجزائر سمَيت "فيدرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقية" (أبو القاسم سعد الله، 1998، 96).

4. المتاحف الأثرية المنشأة من طرف الجمعيات العلمية بالجزائر:

تعددت نشاطات الجمعيات العلمية بالبحث المستمَر في شتَى المجالات، وسنعرض نشاط من النشاطات الثانوية لهذه الجمعيات في المجال الأثري على وجه الخصوص ألاّ وهي استحداث المتاحف الأثرية، ومن أولى المتاحف وأبرزها متحف الجزائر ومتحف قسنطينة ومتحف وهران، والتي سندرجها على النَحو الآتي:

1.4 متحف الجزائر:

سعت الجمعية لدراسة المجموعات الأثرية التي أقتنيت بطرق مختلفة من طرف "بربروغر" أثناء الحملات العسكرية عبر مختلف ربوع الجزائر، بصّفته أول من سعى لتأسيس متحف الجزائر الذي تأسس سنة (1838)م (BERBRUGGER (A), 1856, p06)، بالإضافة للنشاطات الميدانية على مستوى عمالة الجزائر من قبل بعض أعضاء الجمعية، بإجراء الحفريات في عدّة مواقع أثرية التي نتج عنها كم هائل من المكتشفات الأثرية، والتي أضيفت للمكتبة متحف الجزائر؛ بعد تعيين "بربروغر" محافظ للمتحف في الفترة الممتدة (1835- 1869)م (ينظر الصّورة رقم 01)، خصصت ميزانية سنوية قدَرت ب 10.000 فرنك بإشراف من وزارة الأشغال العمومية منذ سنة (1848)م، وأضيف قسم التَاريخ الطبيعي بجانب قسم الآثار القديمة، وخصصت 3000 فرنك لمشتريات الكتب والتَحف الفنية، وهي الفترة التي أعتبر فيها المشير "راندون" المتحف بالمتحف المركزي والمخزن الرئيسي، ونقطة اجتماع أكبر عدد من الآثار الشّاملة للعملات الثلاث، والذي أصبح بعدها متحف الجزائر بعد التّحولات التي عرفها منذ تأسيسه(OULEBSIR (N), 2013, p28).

وبتنصيب الحاكم العام للجزائر "جولي كامبون" (CAMBONJELES) وتعيين "روني دو لابلونشار" (RENEDELABLANCHÉRE) كمفتش للآثار بالجزائر سنة (1889)م، استطاع هذا الأخير رفقة "جورج ماري" بجمع ما نجا من المزاد العلني للمعرض الدائم، وضمه إلى القسم القديم (درياس لخضر، 1997، 05)، حيث تَم نقلت جميع القطع الأثرية لقصر

"مصطفى باشا"، وكانت هذه هي النواة الأولى للمتحف الوطني للآثار القديمة الجزائرية بعد تهيئته، أسس المتحف بتاريخ 05 ديسمبر سنة (1892)م، ودشّن وافتتحت أبوابه في 19 أفريل سنة (1897)م من طرف الرئيس الفرنسي "فليكس فور" (FELIXFAURE)(MARYE (G) & WIERZEJSKI (J), 1899, p11-13)، كما أثري المتحف بالقسم القديم بمكتشفات جديدة خلال الحفريات التي اجريت في مواقع مختلفة: تيمقاد (1880)م، وتازولت (1883)م، وشرشال (1886)م، وتيبازة (1881)م، وتبسة (1898)م وغيرها (درياس لخضر، 1997، 05)، كما أضيف إليه قسم ما قبل التاريخ، أعدّ مصّنف متحف الجزائر في الفترة الممتدة (1892- 1899)م،

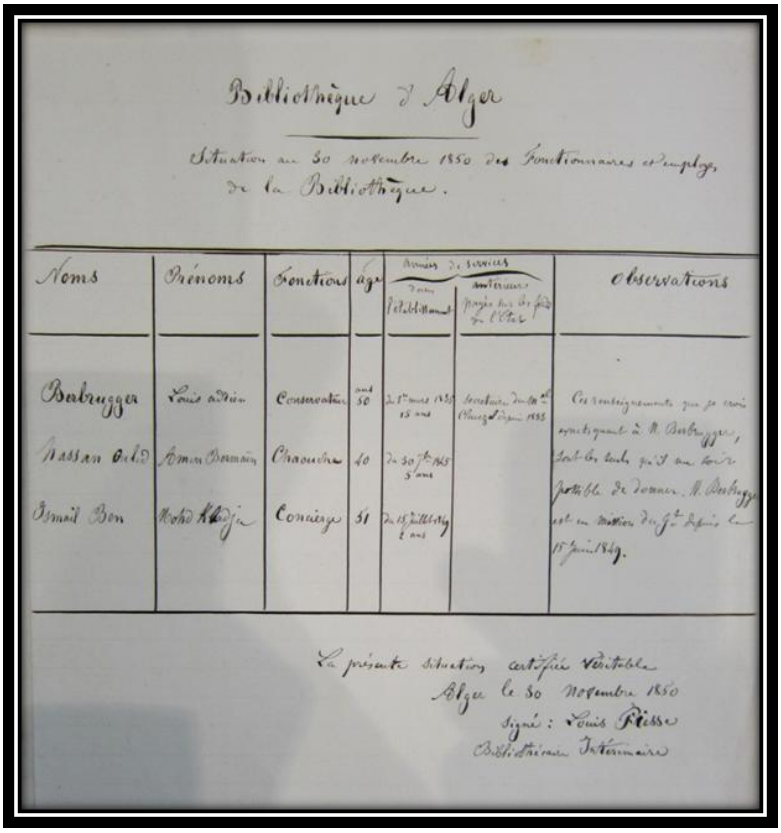

Bibliothèque d'Alger

Situation au 30 novembre 1850 des Fonctionnaires employés de la Bibliothèque.

Noms	Prénoms	Fonctions	Age	Durée de services antérieurs dans l'Administration	Durée de services antérieurs depuis leur entrée à Alger	Observations
Barbrugger	Louis Adrien	Conservateur	50 ans	De 1er mars 1835 à 15 ans	Secrétaire Interprète Chargé d'Intérim 1838	Ce renseignement que je crois important à M. Barbrugger, doit-on tenir pour le traitement de donner M. Barbrugger est en station du 1er Juin 1849.
Hassan Ould	Amin Bouman	Chaouche	40	De 30 Juin 1845 5 ans		
Ismail Ben	Mohd Khodja	Concierge	51	De 15 Juillet 1845 5 ans		

La présente situation certifiée Véritable
Alger le 30 Novembre 1850
Signé : Louis Piesse
Bibliothécaire Interprète

الصّورة (01): الوثيقة الأرشيفية المتعلقة بالطّاقم الإداري لمكتبة متحف الجزائر بتاريخ 30 نوفمبر 1850م؛ (الأرشيف القومي الفرنسي، العلبة رقم (F/17/ 13520))

2.4 متحف قسنطينة:

كوَنت أولى المجموعات الأثرية للمتحف أثناء بناء المدينة الجديدة بمدينة قسنطينة، حيث قامت المصالح المعنَية للجمعية بجمع النَقوش الكتابية (VALLET (E) & BERTHIER (A), 1939, p72)، وعملت على تأسيس متحف سنة (1855)م، كما أن تأسيس متاحف كان على شكل مخازن في الأماكن العمومية (BERBRUGGER (A), 1856, p08)، تعود فكرة تأسيس المتحف حين أرسل"بربروغر" إلى قسنطينة في مهمّة علمية سنة (1837)م، وأعدَ خلالها تقريراً جاء في مختصره ضرورة الاهتمام بالمعالم الأثرية، وضرورة إثراء متحف الجزائر بكل ما له علاقة بالعلوم الطبيعية وبقايا الفنون العتيقة (أبو القاسم سعد الله، 1998، 408).

تركز عمل الجمعية على إيقاف عمليات نقل التحف الأثرية القديمة لمكتبة متحف الجزائر ولجناح الجزائر بمتحف اللّوفر بباريس، وذلك بصدور قرار من طرف الحاكم العام "راندون" لتأسيس متحف محلّي وجهوي بقسنطية لاستقطاب الآثار القديمة التَابعة لعمالة قسنطينة(OULEBSIR (N), 2000, p105)، وتوال على إدارة المتحف كل من: "بوول" "POULLE" سنة (1878)م، "أرقيل" (ARGUEL)، "برودوم" (PRUD'HOMME) في سنة (1882)م، و"هنقلي أليس" (HINGLAISULYSSE) سنة (1903م) (CHARBONNEAU (A), 1862, p06).

أعتبرت أولى المجموعات الأثرية والأرشيفية النّواة الأولى للمتحف، الذي أستحدث سنة (1852)م من طرف ثلاث أعضاء من الجمعية على رأسهم "رونييه روني" والكولونيل "كرولي" و"أغسطت شاربونو"(CHARBONNEAU (A), 1862, p06)، أضيف للمتحف مجموعة جديدة ومهمّة سنة (1855)م، بقرار من رئيس المجلس البلدي "سيقوي بليباليكس" "SEGUY-VILLEVALEIX" الذي خصص 10 آلف فرنك لشراء مجموعة الآثار القديمة الخاصة بـ"كوستا لازار" (COSTALAZARE) (Son Auteur, 1878, p02)، وهذا الأخير

سمّى المتحف بمكان "الآثار القديمة الإفريقية"، تتكون مجموعته من بقايا هامة تعود للفترة القديمة، بالإضافة للمجموعة الأثرية المحلية المسترجعة من مدينة قسنطينة (OULEBSIR (N), 2000, p347).

كما طرحت الدّعوة على وسط المجتمع بكل فئاته في مدينة قسنطينة، والتي نتج عنها مجموعة أثرية ثرية (Son Auteur, 1878, p01)، ولضيق المكان تقرّر تحويل المتحف لقاعة بنيت أمام مكتبة البلدية، وافتتحت في فيفري من سنة (1861)م، وفي السّنة نفسها تّم نشر أكثر من 700 مقال أضيفت لمصنف المتحف بمجلة أنوير (CHARBONNEAU (A), 1862, p06))، وقسّم حينها المتحف إلى ثلاث مجموعات: المجموعة رقم 01 المسكوكات والميداليات، المجموعة رقم 02 الآثار القديمة الرومانية والإفريقية، المجموعة رقم 03 التّاريخ الطبيعي، والآثار المحلية (Son Auteur, 1878, p03)، كما شهد المتحف تطوراً ملحوظاً بعد تنصيب القائد العسكري "برودوم"، حيث أعاد تنظيم المجموعات المتحفية، والقيام بعمليات الجرد في سجَلات مخطوطة باليَد، وفي إطار انجاز مشروع بناء البلدية الجديدة شغل المتحف قاعة ضيقة سنة (1892)م، ووزعت المقتنيات المتحفية بطريقة عشوائية، وأعيد تقسيم المجموعات المتحفية.

3.4 متحف وهران:

قامت جمعية الجغرافيا والآثار بوهران باقتراح من الرائد "دوميات" "DEMAEGHT" بتأسيس متحف سنة (1882)م، وفي سنة (1884)م عيَن محافظا له وأعيد تأهيله، (PESTEMALDJPGLOU (M), 1939, p83)، حيث استعان بمختلف فئات المجتمع في اقتناء التّحف من خلال الدّعوة التي وجهّها لتأسيس المتحف؛ بالإضافة إلى استرجاع بقايا أثرية كانت مهدّدة بالتّلف(LA BLANNCHERE (R), 1893, p06)، حيث قسَمت إلى مجموعات: قسم الآثار: ويضم الفترة النوميدية، وفترة ما قبل التّاريخ والاثنوغرافيا، والمجموعة المحلّية، والمنحوتات والتماثيل، والرسومات الطبيعية والصخرية، وقسم التّاريخ الطبيعي (DOUMERGUE (F), 1932, p01).

قامت الجمعية بكراء مستودع من بنايات المستشفى المدني القديم لتأسيس المتحف لمدّة مؤقتة وتحمّلت تكاليف تهيئته، وبتاريخ 05 مارس من سنة (1885)م تأسس المتحف، ولضمان حمايته أصبح تابع للبلدية، وسمّي بـ"المتحف البلدي لمدينة وهران"، بصدور قرار من محافظ المقاطعة الإدارية للعمالة بإشراف وزير الأشغال العمومية والفنون الجميلة في 05 نوفمبر سنة (1885)م، وفي السّنة نفسها صدر قرار آخر ينصَ على تعيّين الرائد "دوميات" كمحافظ للمتحف، وفي سنة (1891)م تحوّل مقر المتحف إلى بناية أخرى وهي في الأصل كانت مدرسة متعدّدة التّخصصات، واستغلت كمتحف (DOUMERGUE (F), 1932, p02)، اتّخذ متحف مكانته المحلّية سنة (1891)م وفتح أبوابه لاستقبال الزّوار(LA BLANNCHERE (R), 1893, p07).

قرر الرائد "دوميات" أن يظَل المتحف مستقراً بالمدرسة 26 أفريل سنة (1898)م، حيث قرر المجلس البلدي بقيادة "قوبرت" "GOBERT" في 04 ماي سنة (1898)م بتغيير اسمه إلى "المتحف البلدي دوميات" (DOUMERGUE (F), 1932, p02) (ينظر الصّورة رقم 02)، كما ازدادت نسبة المقتنيات المتحفية وتنوّعها، ويرجع ذلك للحفريات الأثرية المنجزة على مستوى عمالة وهران (LA BLANNCHERE (R), 1893, p08).

الصّورة (02): واجهة متحف وهران؛ (الأرشيف الرقمي للمكتبة القومية الفرنسية)

5. دورها في الحفظ الانتقائي للتّراث الأثري الجزائري وتثمينه:

أفضت عمليات اقتناء البقايا الأثرية إلى تكوّين مجموعات أثرية في منتهى الأهمية، استّغلت في عدّة مجالات، ممّا جعلها ترتكز في مهامها على دراسة وحفظ التراث الأثري في أولى مراحل تأسيسها وذلك لعدّة أسباب، والتي سنلخصها في هذه النّقاط الآتية:

أوّلا: محاولة الحدّ من عمليات نقل المجموعات الأثرية الجزائرية لفرنسا، باعتبار أن الجزائر جزء من فرنسا، بتكوين متاحف لغنائم الحرب، توظّيفها في خدمة مشروع احتلالها للجزائر، حيث اتّخذتها على الصّعيد المحلّي اعتباره بمثابة "مركز لحفظ الأرشيف المادّي" حول "الأهالي"، وأبلغ دليل على ذلك "مكتبة – متحف" مدينة الجزائر، ودراسة ما كانت تزخر به البلاد من ثروات طبيعية هامة، ووضعها في متناول الباحثين الفرنسيين، المرافقين للحملة، والمكلّفين بمهام خاصّة من مدنيين، وعسكريين على حدّ سواء بداخل متحف خاص(OULEBSIR (N), 2000, p126)، كما أنشأت بقية المتاحف الأثرية لاحقا.

ثانيا: أزمة بيع مجموعات الفنون الإسلامية، وإعلان الجمعية التّاريخية الجزائرية ببيعها في المزاد العلني لهواة التحف والتّجار سنة (1889)م دون سابق إنذار أو إعلام (درياس لخضر، 1997، 04)؛ حيث عمدت السّلطة الفرنسية على ارتكاب خطأ كبير اتجاه المقتنيات الأثرية الإسلامية الجزائرية، ومن الأسباب والأعذار التي قدمتها السّلطات المعنية: العبء الكبير الذي ستشكله المقتنيات على خزينة، ونقص المباني لضَم المجموعات الأثرية المحلية، وأن هذه الروائع الفنّية تذكرهم بالجزائريين، واعتبرت هذه العملية بمثابة كارثة ثقافية هزَت كل المثقفين داخل وخارج الوطن، وإجحاف في حق التّراث الأثري الإسلامي الجزائري (شيبان يمينة، 2017، 185)، وفي هذه الحالة فإنّ الجمعية كانت مغيّبة ورضخت لأوامر السّلطات الفرنسية في إتلاف حلقة من حلقات التّاريخ الجزائري.

ثالثا: استغلالها للأغراض الشخصية سواء من طرف بعض الأعضاء الجمعيات المختصين في مجال الآثار والهوّاة، أو التي كانت عند الجهات العسكرية التي احتفظت بها وعملت على تخزينها على مستوى هيئاتها ومراكزها (WIERZEJSKI (J), 1899, p12)، بالإضافة

إلى القطع التي ضاعت أثناء نقلها، أو التي استحوذ عليها الخواص، وجلَ عمليات النقل كان يقوم بها الجنود الفرنسيين، فمن خلال عمليات الإحصاء النَسبي تعرضت للنَهب والتّخريب، فمنه من أخذها لدراستها، والآخر اعتبرها كذكرى، والبعض قدمها كهدايا، حيث اعتبر "ليون رونييه" أن كل النّقوش الأثرية القديمة تعتبر الأرشيف الوحيد للمواقع الأثرية المحلّية التي تعرضت لاختفاء أولى عناوين التّاريخ الجزائري(RENIER (L), 1859, p220).

رابعا: وجهّت للجمعيات العلمية ضرورة القيام بعمليات الجرد والتّوثيق للمقتنيات المتحفية، واستغلالها في تكوين مبرر تاريخي للاحتلال وتحقيق السّيطرة، حيث أطلق المؤرخ "ستيفان غزال" على عهد المؤرخين العسكريين في الفترة الممتدة (1830- 1880م) اسم "المدرسة الجزائرية القديمة في كتابة التّاريخ"(WATBLED (E), 1870, p200)، وحسب ما جاء في مقال "بيرنار أغوست" (BERNARDAUGUSTIN) مصرحا بأنّه :"...بعد أن ملكت فرنسا الجزائر بالسّيف والمحراث (تعبيرا استعمله بيجو) يجب أن يأتي الاحتلال الآخر، أي الامتلاك بالقلم والكلمة، وهو دور الذي تقلّده "ماسكري إميل" في المجلة الإفريقية دون أن نتخلى عن واجباتنا..." (BERNARD (A), 1894, p389)، ويمكن إسقاط الفكرة على كل الجمعيات العلمية الجهوية والمحلّية التي سعت لاستحداث المتاحف تحت شعار حماية الآثار الجزائرية، والتي سار على نهجها المؤسسات المكلّفة بتنظيم وتسيّير المتاحف في القرن (20)م، وحتى بعد فترة استقلال الجزائر بقيت على حالها، أي بعبارة أوضح خدمة أهداف المدرسة الاستعمارية بأيادي جزائرية بوعي أو دون وعي من هذه الأخيرة، التي نتج عنها فراغ قانوني ونقص الاعتماد على الإطارات المتخصّصة في مجال حماية وتسيير المتاحف الجزائرية وتأطير العمّال.

6. خاتمة:

إنَ تعدد الجمعيات العلمية واختلاف مهامها في البحث فهي ساهمت في إثراء البحث العلمي، وهو مجهود يدّل على التّخطيط والبرمجة، والعمل على إصدار المجلات فهي تعدَ ثروة علمية من جهة، رغم النقائص والآراء المحايدة التي تخدم المحتل الفرنسي، ومن جهة ثانية تأسيس المتاحف من طرف هذه الجمعيات، وكان الهدف منها تخزين ودراسة المقتنيات المتحفية، ومحاولة التعريف بتاريخ الجزائر رغم الإصرار لإهمالهم لبعض المحطات الهامّة في تاريخ الجزائر، واهتمامهم بالآثار الرومانية والمسيحية وإهمالهم تقريبا للحضارة الإسلامية وآثارها، واستعمالها كأداة أو غطاء لتحقيق الطموحات الاحتلال الفرنسي في خلق خلل في الهوّية الجزائرية وتظليل التّاريخ الجزائري.

7. قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات: أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954م، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، الجزء 05، الطّبعة 01.

أبو القاسم سعد الله، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954م، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، الجزء 06، الطبعة 01.

المقالات:

درياس، لخضر، (1997)، المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، كنوز المتحف الوطني للآثار القديمة، عدد خاص بالذكرى المئوية 1897- 1997م، الوكالة المركزية للنشر، طبع بسومر، الجزائر.

شيبان، يمينة، (2017)، المجموعة الأثرية الإسلامية بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية (مراحل النشأة والأبعاد في ظّل الاحتلال الفرنسي)، مجلة السّاورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 06، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر.

Livres:

BERBRUGGER (A) (1861), Bibliothèque-Musée d'Alger, Edition Bastide, Algérie.

CHARBONNEAU (A) (1862), Album du Musée de Constantine, la Société Archéologique, Cahier 01, Constantine.

DOUBLET (G) ET GAUCKLER (P) (1892), Musée de Constantine, Série Musées et Collections Archéologiques de l'Algérie, et de la Tunisie, Editeur LEROUX Ernest, Paris.

DOUMERGUE (F) (1932), Catalogue Raisonné des Objets Archéologique du Musée de la Ville d'Oran, Edition 02, Société Anonyme des Papeterie & Imprimeries FOUQUE, Oran.

LA BLANNCHERE (R) (1893), Musée d'Oran, Série Musées et Collections Archéologiques de l'Algérie, et de la Tunisie, éditeur LEROUX Ernest, Paris.

MARYE (G) & WIERZEJSKI (J) (1899), Catalogue illustré du Musée National des Antiquités Algériennes, Edition Léon, Alger.

MERCIER (E) (1903), Histoire de Constantine, Imprimé avec le concours de la Société Archéologique et Imprimeurs MARLE (J) et BIRON (F), Edition 51, Algérie.

Thèses :

OULEBSIR (N), La Construction du Patrimoine en Algérie de la Conquête au Centenaire (1830- 1930), Thèse de Doctorat en Histoire et Civilisation, Ecole des Hauts Etudes en Science, Paris, France, 2000.

Articles:

BENKADA (S) (1999), la société savante : rupture et continuité d'une tradition associative le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, Insaniyat, Oran, Numéro 08 .

BERBRUGGER (A) (1856), Introduction, Revue Africaine, Adolphe JOURDAN Libraire-Editeur, Alger, Volume 01.

BERNARD (A) (1894), ÉMILE MASQUERAY, Revue Africaine, Adolphe JOURDAN Libraires-Editeur, Alger, Volume 38.

BEVIA (J) (1924), Journal des Travaux de la Société Historique Algérienne: Table Général des Matières (1882- 1921)", Revue Africaine, Ancienne Maison Bastide- JOURDAN, Alger.

BOUTY (J) (1898), l'Œuvre de la Société", Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de Province d'Oran, Imprimerie Typographique et Lithographique L FOUQUE, Oran, Tome 18.

ESQUER (G) (1956), Histoire et Souvenirs, Revue Africaine, Adolphe JOURDAN Libraire-Editeur, Alger, , volume 100.

JUGUE & BEVIA (1905), L'Œuvre des Sociétés Savantes Algériennes et Tunisiennes", In: Revue Africaine, publiée par La Société Historique Algérienne, Adolphe JOURDAN Libraire-Editeur, Alger, Volume 49.

MONBRUN (M) (1893), Compte-rendu des Travaux de la Société de Géographie et d'Archéologie de Province d'Oran", Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie de Province d'Oran, Imprimerie Typographique et Lithographique PAUL PERRIER, Oran, Tome 13.

OULEBSIR (N) (2013), Chef-œuvre en quête de publics Musée et transferts Culturels Franco-Algériens, Musées- Mondes: Les Musées au Maghreb et leur Publics Algérie Maroc Tunisie, Direction de l'information légale et Administrative, Paris.

PAYSANT (L) (1924), Journal des Travaux de la Société Historique Algérienne: Table Général des Matières (1882- 1921), Revue Africaine, Ancienne Maison Bastide- JOURDAN, Alger, Volume 65.

RENIER (L) (1859), Instructions pour la Recherche des Antiquités en Algérie, Revue Algérienne et Coloniale, Librairie de HACHETTE L et GIE, Paris, Numéro 14.

Son Auteur (1858), Partie Officielle: Novelle Subvention accordée à la Société Historique Algérienne, Revue Africaine, Adolphe JOURDAN Libraire- Editeur, Alger, A. Jourdan, Alger, Volume 03.

Son auteure (1878), Catalogue du Musée Archéologique de Constantine: Notice sur L'origine du Musée, Recueil des Notices et Mémoires de Société Archéologique du Département de Constantine, ARNOLET L, Constantine, Alger, Série 02)1876- 1877(, Volume 08 .

Son auteure (1878), Liste Générale des nombres de la Société, Recueil des Notices et Mémoires de Société Archéologique du Département de Constantine, ARNOLET L, Constantine, Alger, Série 02)1876- 1877(,Volume 08 .

WATBLED (E) (1870), Expédition et prise de Constantine, Revue Africaine, Adolphe JOURDAN Libraires- Editeur, Alger, Volume 80.

Article de séminaire:

HINGLAIS (U) (1903), Le Premier Demi-siècle de la Société Archéologique de Constantine (1852- 1902), la fête du Cinquantenaire de la Société, Conférence Publique faite au Théâtre le 30 Avril 1903, D. BRAHAM Imprimeur- Libraire, Constantine, Volume 55.

PESTEMALDJPGLOU (M) (1939), La Société Géographique et Archéologique d'Oran, Quatrième Congrès de la Fédération des Sociétés Savantes de l'Afrique du Nord, Rabat 18- 20Avril 1938, publie par la Société Historique Algérienne, Imprimeries La TYPO- LITHO & Jules CARBONELES, Alger, , Tome 01.

VALLET (E) & BERTHIER (A) (1939), La Société Archéologique de Constantine, Quatrième Congrès de la Fédération des Sociétés Savantes de l'Afrique du Nord, Rabat 18- 20Avril 1938, publie par la Société Historique Algérienne, Imprimeries La TYPO- LITHO & Jules CARBONELES, Alger, Tome 01.